تحفة الأحبَاب في إختيارِ الأصحاب

تأليف

الحبيب عمر بن احمد بن عبد الله بن طالب العطاس

١٣٠٠-١٣٧٣هـ

***

اعتنى به نجله

احمد بن عمر العطاس

(نبذة وجيزة وتعريف بالمؤلف)

هو الحبيب عمر بن احمد بن عبد الله بن طالب بن علي بن حسن الثاني بن علي بن حسن بن عبد الله بن حسين بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس . ولد رضي الله عنه بباكلنقان جاوه الوسطى بأندونيسيا سنة ١٣٠٠ هجرية ، نشأ تحت رعاية والده الحبيب احمد بن عبد الله وتلقى مبادئ العلوم على يديه ، وكانت له منه الرعاية التامة . سافر برفقة والده إلى حضرموت بلد الهجرين مسقط رأس والده ، إرتحل إلى تريم لطلب العلم الشريف وأخذ عن علماء عصره المشهورين ، ومن شيوخه الحبيب العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور ، والحبيب حسين بن محمد الحسني ، والحبيب علي بن محمد الحبشي ، والحبيب احمد بن حسن العطاس ، والحبيب عبد الرحمن بن احمد الكاف القاضي بالهجرين وغيرهم . كان رحمه الله جُلَّ أوقاته مشغولا بالعبادة والأذكار وعمارة المسجد بالدروس والحزوب ومطالعة الكتب وتدوين مايطلع عليه . وقد ألف العديد من الكتب المفيدة منها :

١- غذاء الأرواح في أذكار المساء والصباح
٢- سوق الأرباح بشرح غذاء الأرواح
٣- كتاب الرسائل
٤- الفوائد الجليلة والعطايا الجزيلة
٥- كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة
٦- تنبيه النائم وبغية الهائم
٧- فائدة عظيمة لسلوك سبيل السلامة
٨- فوائد منثورة وعبر
٩- الفوائد والعبر
١٠- نزهة الأحباب في اختيار الأصحاب
١١- النفائس المفيدة والآداب السديدة
١٢- أسرار البدأة في خلقه النشأة
١٣- كتاب عظيم القدر وسامي الفخر في التحلي بالصبر
١٤- جني الثمار فيماورد في الأذكار من أخبار وآثار

١٥- سبيل المنار في جلب التخلص من المضار (لم نعثر على الكتاب)

توفي رضي الله ببلد الهجرين صباح يوم الجمعة الرابع من شهر محرم الحرام سنة ١٣٧٣ هـ فرحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه الجنة دار القرار ولاحرمنا بركته آمين .

ومما من الله به على نجله كاتب هذه السطور أن وفقني لنساختها ومراجعتها وطباعتها وتوزيعها للمحبين ، وذلك إمتثالا لماورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أوعلم ينتفع به ، أوولد صالح يدعو له) فأسأل الله الكريم أن يجعل عملي فيه خالصا مخلصا لوجهه الكريم وأن يحصل به النفع العام إنه على مابشاء قدير .

اللهم ماعملنا من أعمال صالحة فرضيتها ، وماتصدقنا من صدقة فقبلتها ، فنسألك اللهم أن تجعل حظهم منها أكبر من حظوظنا ، وقسمهم منها أجزل من أقسامنا ، فإنك أوصيتنا ببرهم وندبتنا إلى شكرهم ، فأنت أولى بالبر من البارين ، وأحق بالوصل من المأمورين . اللهم اجعلنا لهم قرة

أعين يوم يقوم الأشهاد ، وأسمعهم منا أطيب النداء يوم التناد ، واجعلهم بنا من أغبط الآباء بالأولاد حتى تجمعنا وإياهم في دار كرامتك ومستقر رحمتك مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

كتبه نجله احمد بن عمر العطاس

الأحساء ١٤٢١/٩/١٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي جعل الصبر عقبة لكل فعل حميد ، وسُلَّمًا إلى الرتب العُلى بأوفى الهمم وفعل سديد ، مصحوبا بتوفيق الملك الجواد الحميد ، وصلى الله على سيدنا ومولانا الدال إلى كل فعل سديد ، وعلى آله وصحبه من يومنا هذا إلى يوم الجزاء والوعيد .

(وبعد) فهذه فوائد متضمنة في الحث على كثرة الصحبة لاسيما لأهل الوفاء المشهورين بإخوان الصفا . فنقدم أولا من كلام سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد حيث يقول رضي الله عنه شعراً :

فإياك أن تختار صحبة من ترى   له ظاهراً يعجبك من قبل أن تبلي

إلى أن قال :

مظاهرة الإخوان أمرٌ مقررٌ   عليه يدور الشان فاستوص بالخل

(**قلت**) ومما ظفرت به من منثور جواهرسيدنا الإمام الحبيب احمد بن حسن العطاس في هذا المعنى على نسق هذا المبنى يقول رضي الله عنه : ثمرة الإجتماع الإنتفاع ، وكل إجتماع مافيه إنتفاع وبال على الإنسان ، والعاقل الذي

لايضيع وقته إلا في تحصيل فائدة دينية أودنيوية ، ومن شرط الإنتفاع المحبة . أوماهذا معناه .

(**قلت**) ولما أن الشيء بالشيء يذكر والحديث شجون ذكرت هنا حكاية أخبرني بها بعض المحبين وهو يرويها عن بعض السادة العلويين ، والحكاية متضمنة في الحث على الصبر وهي هذه : قال رضي الله عنه : إن القَدَرْ إذا توجه للإنسان كالسيل المُعَمِّدْ في الوادي فلا أحد يقدر يرده ، وكل ضميره على قدر صبره . إنتهت الحكاية .

ثم إني تفكرت ذات يوم في بديع هذا المثال ، ومالنطوى عليه من المعاني الجِلال ، فأحببت إبانة بعض ماتضمنتها مما بلغ به فهمي في هذا المجال ، وهما : قال سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه : الحكايات جند من جنود الله ، يقوي بها قلوب المريدين . فقيل هل لذلك من شاهد ؟ قال نعم ! قوله عز وجل ﴿ **وَكُلاً نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنباءِ الرُسُلِ مانُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ** ﴾ [الآية ١٢٠ هود] .

قال سيدنا الحبيب احمد بن حسن العطاس رضي الله عنه : الناس واقفون مع تحكمهم وإراداتهم أن يظهروا في

الكون غير ما أظهره الله فيه ، وهذا هو الذي غَيَّرَ عليهم أحوال دنياهم وآخرتهم ، ولو داروا مع الوقت والزمان لصلحت أحوالهم ، فلاتحاولون إحداث ما أظهره الله ، أنتم ألا صَلِّحوا ما أظهره الله حتى تستقيم أحوالكم . اهـ

قال بعض الحكماء : السيف لَيِّنٌ مَسُّهُ قاطع حده ، فمن لاينه سَلِمِ ومن خاشنه اصطلم ، كذلك الوقت من استسلم لحكمه نجا ، ومن عارضه بترك الرضا إنتكس وتَرَدَّا . اهـ

(**قلت**) وعبارة كتاب الكبريت الأحمر : الوقت سيف قاطع ، وكما أن السيف قاطع فمايجري عليه من قضاء الله تعالى وقدره في الوقت لايمكن خلافه . اهـ .

ومن كلام سيدنا الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه رضي الله عنه في كتابه الرشفات في مبحث أفضلية خلقة الإنسان وما أودع الله تعالى فيه ، وماانطوى عليه من المحاسن بقوله نفعنا الله به وبعلومه ، وأفض علينا من فائضات فهومه آمين . شعراً :

ولم يزل للحق سر ساري   بالجود والألطاف والأسرار

من عالم التقديس والأنــوار   في عالم الأجســام والأشـكال
وذاك بالفضل وبالإحسان   سر وجود جوهر الإنسـان
وأنه خليفة الرحـــــمن   في الأرض للتنـزيل والإنــزال
فقد كساه علمه ونـــُورَه   وخصه منه بأولى صُـــورَه
فصارختما فيه جمع الصـوره   وفيه كل الأمــــر بالإجمال
وقد حوى في حجمه الصغير   كل معاني العَالَمَ الكبـــير
وصار في المعنى وفي التصوير   كنسخة في الوضع والمــثال

(**قلت**) ومما جعل للإنسان من الكرامـة ، أي مـن جملة إمتنانه سبحانه وتعالى لعبده أن كل إنسان له أربع دوائـر بمعنى أدوار ، جمع دور ، ومفـرده دائـرة وهي معنوية ، وكل دائـرة عليهـا بابا ، وكل باب مـن الأبـواب عليـه بـواب مـوكلا بحفظ ما أودع في تلك الدائرة .

(**الدائرة الأولى**) حافظة لجسـمه وعلى بابهـا غريـزة العقل وهو التمييز مـوكلا بحفـظ الجـوارح مـن وصـول الجـوائح حسا ومعنى ، وكذا سائر جسده ظـاهرا وباطنـا ، ومكتـوب على عتبة ذلك الباب قوله تعالى ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـئُولاً** ﴾ [الآية ٣٦ الإسراء] وقـوله تعـالى

﴿ ولاتَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيكَ ﴾
[الآية ٧٧ القصص] .

(**قلت**) والإحسان لاسيما في هذا الشان لايكون إلا بحسن النيات ، فإن العادات في سائر الحركات والسكنات وكذا المعاملات بصوالح النيات تنقلب عبادات ، يؤجر العبد عليها ، ويثقل ميزان حسناته في الأخرى ، وكيف لايكون كذلك وقد ورد (إنما الأعمال بالنيات) الحديث إلى آخره . ومن كلام سيدنا الحبيب احمد بن حسن العطاس رضي الله عنه في هذا المعنى يقول : إذا خرجت إلى الآخرة لايخرج معك إلا نيتك الصالحة وعملك الصالح والباقي يخلف فضعه من الآن .

(**قلت**) وأما تدبير إصلاح الجسد وتجنب مايفسده ، فإن صلاح الجسد مركب على صلاح المعدة بتهذيب حرارة غليانها ، أي المعدة ، وبحصول صفوة غليانها يتوصل نفع ذلك الغذاء إلى سائر العروق المبسوطة في جسد الإنسان من مفرق رأسه إلى أسفل أقدامه ، وعدة تلك العروق ثلاثمائة وستين عرقا ، فقد أودع الصانع الحكيم في كل

عرق من تلك العروق سر ونفع لذلك الجسد ليس في الآخر ، فمدد قوة حياتها من صفوة الغذاء الحاصل من غليان تلك المعدة . ومن هنا يعلم أن صحة الجسد من صلاح المعدة ، وفساده من فسادها ، وفسادها إطفاء نارها وهي الحرارة الطبيعية التي في غريزة الإنسان . وقد أشار إلى ذلك النبي عليه السلام بقوله (الصدقة لكل ذي كبد حَرًّا) أي كل ذي روح . فمما يلائم كل ذي روح أن يكون حاراً ، ولذا الإنسان إذا فارقت روحه جسده إنتزعت تلك الحرارة الغريزية منه .

ولنرجع إلى مانحن بصدده وهو تدبير الأَكل ، فمن اللائق أن يجعل الإنسان لطعامه وتناوله لغذائه وقتا دون وقت ، وأن يكون أكله مادون الشبع ، فالعاقل هو الذي يضع الشيء في محله ، ولذا سمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه من المهالك . ومن المهالك للإنسان تحمل المعدة مالاتطيقه لأنه جالب لفسادها ، وبفسادها يفسد الجسد .

وأحببت هنا نقل كلاما يسيراً من كتب الطب لايستغني عنه كل ذي لب ، ومنه يعلم مدد أسباب الداء في الجسد فيجتنبه . قال المقري في الفصد والحجامه : إعلم أن

الدم لاينبغي إخراجه بل تركه أنفع للضرورة فهو ينفع للجسد وأوفر لقوة البدن ، لأنه من خالص الغذاء الذي هو قوام البدن وثبات الروح منه . وقال أبقراط : الأبدان التي غير نقية من الأخلاط الردئية إذا غذوناها زدناها شراً . وقال جالينوس : لأن الغذاء يفسد بفساد مافي البدن من الكيموس الردئ فيزيد كميته وتبقى صفته على حاله . قال الرواي الحكيم : الخلط الردئ يحيل الغذاء ويشبه بطبائع : فإذا كان التاقِه ، أي النشل ، لايستمري الطعام ففي بدنه أخلاط ردئية يحتاج إلى أن يستفرغ ، فإذا لم يستفرغ عفنت وعاد عليه المرض .

وينبغي للإنسان أن يلاحظ عند إبتداء أكله بأن يكون ذلك وسيلة إلى طاعة مولاه ، وأن يكون ملاحظا ومستحضراً أيضا النعمة التي أسداها إليه مولاه ، فإن الله قد أعطاه نعمتان : أولها نعمة الإيجاد ، والثانية نعمة وجود الفاقة ، ومنشئها من العافية والصحة المودوعة في جسمه ، فيلزمه حينئذ أن يشكرالله على تلك النعم . ومن تمام الشكر أن يأخذ من الطعام مادون الشبع ، فإن الشبع وتكلف المعدة مالاتطيقه يورث فسادها وبفسادها يفسد الجسد ،

لأن من شأن التكلف للمعدة من الشِرَهْ ، والشره لايكون إلا من جهة شهوة النفس .

قال محي الدين ابن العربي رضي الله عنه في أثناء كلام له في مبحث آفات النفس : وللنفس سيفان ماضيان تقطع بهما رقاب صناديد الرجال وعظمائهم ، وهما شهوتا البطن والفرج ، وشهوة البطن أقوى وأشد من شهوة الفرج لأنه ليس لها تأييد إلا من سلطان شهوة البطن . فما ملئ وعاء شراً من بطن ملئ بالحلال فكيف إذا كان حراما . إلى آخر ما أورده رضي الله عنه .

وقال بعض العارفين : ليس العجب ممن تاه في ميل أربعين سنة ، يعني بني إسرائيل ، وإنما العجب ممن تاه في مقدار شبر وهو البطن . وقال غيره : وأعجب من ذلك من تاه في مقدار أصبع وهو اللسان . اهـ

وأعجب من ذلك لأن ماتقدم يكون بقيد بصيرة على ماهو كامن عليه من شهوة الطعام والكلام وماسيأتي ، فقد يعجز ويحير لب العاقل عن منعه فضلا عن غيرهم ، وهي الخواطر الواردة على القلب ، فإنه لاحائل بين الوارد والمورد

عليه ، فإذا لم يكن الإنسان حارسا وراعيا لتلك الخواطر فقد يسبح في ذلك الخاطر ويجره وينقاد من واد إلى واد إلى مالانهاية له ، لأن للفؤاد ألف واد كما ذكر في حكاية سيدنا عبد الرحمن بلفقيه ، ويكون ذلك في أسرع وقت ، فإن كان ذلك الخاطر ردئ فباعثه من الشيطان ، فقد آل على نفسه بقوله تعالى حاكياً عنه ﴿ **كُتِبَ عليه أنه مَنْ تَوَلاه فَأَنَّه يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىَ عَذَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [الآية ٤ الحج] . قال بعض العارفين في هذا المقام : ومن ساعده على فعله فقد تولاه وإن ذكر الله بلسانه . وقال تعالى في الآية الأخرى ﴿ **يَابَنِي آدَمَ لاَيَفْتِنَنَّكُم الشَّيطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِنَ الجَنَّةِ** ﴾ [الآية ٢٧ الأعراف] . (**قلت**) وجنة المؤمن في الدنيا إيمانه بربه . ويؤيد ذلك قوله تعالى في الآية المذكورة ﴿ **يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا** ﴾ [الآية ٢٧ الأعراف] ولباس المؤمن وزينته التحلي بالإيمان واليقين والرضا والتسليم ، ولذا قال تعالى في آخر الآية المذكورة ﴿ **إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لاَيُؤمِنُونَ** ﴾ وفي الحديث (إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لايحب) .

ثم نرجع إلى مانحن بصدده من آداب أخذ الغذاء ومايترتب عليه من القول والفعل : فالشره للطعام من أوصاف النفس ومكائدها للإنسان ليكون كافراً لتلك النعم ، فتصير النعم حينئذ نقم . وقد نبه سبحانه وتعالى على ذلك بقوله ﴿ **قُتِلَ الإنسَانُ مَاأَكْفَرَه** ﴾ [الآية ١٧ عبس] وقال تعالى ﴿ **أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَين * وَلِسَانًا وَشَفَتَين * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَين** ﴾ [الآيات ٨-١٠ البلد] أي طريقين . وقال تعالى ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وإِمَّا كَفُوراً** ﴾ [الآيات ٢-٣ الإنسان] . ولذا قال بعض الشعراء :

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيل النعم

ومما يتمثل به الوالد متع الله بحياته لاسيما إذا حضر عنده الطعام هو هذين البيتين شعراً :

ماء وخبز وظل هذا النعيم الأجل
جحدت نعمة ربي إن قلت إني مقل

وقال سيدنا الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه في هذا المبحث في كتابه الرشفات :

وكيف يرضى عاقـل وعالم بعـمره في عيشة البهـائم
عن جيرة الرحمـــن والمكارم يبيع بالدون الأعز الغـالي

إلى أن قال :

حسب التقي مايقيم صلبه أوثلثاها أكله وشـــــربه
وثلث لنفسه من كربـــــه فالداء ملء البطن من حلال
إذ يملأ القلب امتلاها ظلمه ويعتلي جند الهوى والنهمه
فكيف حال شبهة وحرمه فالسحت في النار بلاجدال
فإن أمر الجسم للبطن تبع والدين مبني على أس الورع
والنورفي الحل ويطفيه الشبع فاطلبه واقلل منه فهو الغالي

(**قلت**) فمن جعل هذه ديدنه وصارت له عـادة في لياليه وأيامه ، فقمين بأن يكون ذلك الإنسان صحيح الجسـم . وأما فساد الجسم المذكور إطفـاء نار المعـدة بـدوام الأكل وهي المسـماة عنـد أهـل الطـب الـبردة . وقـد يقـال : رأس كل عـلة البردة . أي أكلة بعد أكلة . وفساد المعدة لهـا علامـات ظـاهرة وكـذا صحتهـا . فـإذا أكل الإنسـان طعامـا وخـرج في أقـل مـن أربع ساعات فهي خاربة ، فيلزمه حينئذ الإحتماء وتقليل الأكل .

قال بعض الأطباء : أكبر الدواء تقدير الغذاء . وهذا لمن هوصحيح البدن ، وأما صاحب الألم فهو أولى بذلك . وأما إذا أكل الإنسان طعاما وبقي في بطنه أكثر من أربع وعشرين ساعة فليمنع نفسه من تناول الطعام حتى يأخذ شربة السنا ، وأن يكون على الريق ، فإذا فرغت بطنه فليأخذ مرقة ويأخذ بعد ذلك نحو ساعة ثم يأخذ شربة الرز ، وأن لايأخذ شيئا من الأطعمة الغليظة في ذلك اليوم وفي تلك الليلة . وقد جمع الله الطب في آية واحدة بقوله تعالى ﴿ **كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاتُسْرِفُوا** ﴾ [الآية ٣١ الأعراف] . وقال ابن المقفع : أصل الأمر في إصلاح الجسد أن لاتحمل عليه من المآكل والمشارب إلا خفافا ، وإن قدرت على تعلم جميع منافع الجسد ومضاره والإنتفاع بذلك فهو أفضل .

(فائدة) في تدبير الأكل : ومن هنا يعلم أن صحة الجسد من صلاح المعدة وفساده من فسادها ، وفسادها إطفاء نارها وهي المعبر عنها بالحرارة الطبيعية التي في غريزة الإنسان . وقد أشار إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : (الصدقة لكل كبد حرا) أي كل

ذي روح . فمـا يـلائم الـروح أن يكـون حـارا . ولذا الإنسان إذا فارقت روحه جسده إنتزعت تلك الحرارة الغريزية منه . ولنرجع إلى مانحن بصدده وهو تدبير الأكل الذي هو قوام الإنسان : فمن اللائق أن يجعل لطعامه وتناوله لغذائه وقتا دون وقت ، وأن يكون أكله مادون الشبع ، فالعاقل هو الذي يضع الشيء في محله لأنه يعقله من المهالك . ومن المهالك تحمل المعدة ما لاتطيقه لأنه جالب لفسادها وبفسادها يفسد الجسد .

ومن آداب الأكل أن يلاحظ عند تناوله النية الصالحة بأن يكون ذلك وسيلة وتقوية لطاعتها مولاها ، وأن يكون ملاحظا ومستحضرا أيضا النعمة التي أسداها إليه مولاه ، فإن الله سبحانه وتعالى قد تفضل عليه بنعمتان أولهما : الإيجاد بحصول ذلك الطعام ، والثانية وجود الفاقة ومنشأها من العافية والصحة المودوعة في جسمه ، فيلزمه أن يشكرالله على تلك النعم . ومما يتمثل به الوالد رحمه الله إذا حضر بين يديه الطعام لاسيما الضحى (الغداء) أو العشا يقول :

ماء وخبز وظل   هذا النعيم الأجل

جحدت نعمة ربي   إن قلت إني مقل

(قلت) ومن تمام الشكر أن يأخذ من الطعام مادون الشبع ، فإن الشبع وتكلف المعدة ما لاتطيقه يورث فسادها وبفسادها يفسد الجسد ، لأن منشأ التكليف للمعدة من الشره ، والشره لا يكون إلا من جهة شهوة النفس ، والشره للطعام من أوصافها ومكائدها ليكون كافرا لتلك النعم ، فصارت النعم حينئذ عليه نِقَمْ . وإليه الإشارة بقوله تعالى { **قُتِلَ الإنسانُ مَا أَكْفَرَه** } إلى قوله { **ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَه** } [الآيات ١٧-٢٠ عبس] . وقال تعالى { **إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّاكَفُوراً** } [الآيات ٢ -٣ الإنسان] . قال الشاعر :

إذا كنت في نعمة فارعها   فإن المعاصي تزيل النعم

إذا تم شيء بدا نقصه   ترقب زوالا إذا قيل تم

وما أحسن ماذكره سيدنا الحبيب عبد الرحمن بلفقيه شعراً :

وكيف يرضى عاقل وعالم بعمره في عيشة البهائم
عن جيرة الرحمن والمكارم يبيع بالدون الأعز الغالي

(**قلت**) ومما يجلب لصحة الجسد أيضا النوم الرائق ليلا ، لأن عدمه يوهن البدن وقد يكون سببا لثوران الدم السوداوي ، ثم ينتشر منه أمراضا كثيرة مثل القروح والصداع والغثيان وغير ذلك ، ومصداق ذلك ما أوردناه في قوله تعالى ﴿ **وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتاً** ﴾ [الآية ٩ النباء] قال صاحب مختار الصحاح : السُّبات النوم وأصله الراحة . ولذا قال بعضهم في معنى الآية : أي راحة لأبدانكم .

(**الدائرة الثانية**) فهي سكنى أعدائه الأربعة : النفس والهوى والشيطان والدنيا . أي محبتها والميل إليها والرغبة فيها والتكالب في طلبها . ومجاهدة نلك الأعداء واجبة وهي لازمة لكل إنسان . قال تعالى ﴿ **وجَاهَدوُا في اللهِ حَقَّ جِهادِهِ** ﴾ [الآية ٧٨ الحج] وقال تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَآمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُم غِلْظَةً** ﴾ [الآية ١٢٣ التوبة] . وقال تعالى ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكم حَتى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُم وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُم** ﴾ [الآية ٣١ محمد] . والأعداء المتضمنة

في الآية المذكورة منقسمة إلى ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة فرق الضلال ومجاهدتها معلومة ، والباطنة وهي تلك الأعداء الأربعة المذكورة ، فكل عدو له أتباع ، أي جنود وأعوان ، ومجاهدتها منعها من شهواتها شيئا فشيئا على التدريج ، فهذا هو الجهاد الأكبر كما ورد في الحديث الأشهر ، وذلك لكثرة فروعها .

قال الهمداني في النبذة : فجنود النفس عشرة وهي : الحرص ، والشهوة ، والشح ، والرغبة ، والزيغ ، والقسوة ، وسوء الخلق ، والأمل ، والطمع ، والكسل .

وجنود الهوى عشرة وهي : الحسد ، والتَّجَبُّر ، والعُجُبْ ، والكِبِر ، والغل ، والمكر ، والوسوسة ، والمخالفة في الأمر ، وسوء الظن ، والجدال .

وجنود الشيطان عشرة : الظلم ، والخيانة ، والكفر ، وترك حفظ الأمانة ، والنميمة ، والنفاق ، والخديعة ، والشك في الواحد الخلاق ، والمخالفة لما أمر به ذوالجلال والإكرام ، والتغافل عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم .

والدنيا وجنودها عشرة : الرياء ، والفواحش ، والبطر ، واللهو ، واللعب ، والزور ، والبهتان ، والغش ، والبغض ، والتخليط في الشريعة .

وعلى باب تلك الدائرة والآمر لتلك الجنود : النفس على اختلاف منازلها السبعة وهي : أما أن تكون أمارة ، وهي المراد من قوله تعالى حاكيا عن زليخا حين قال ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ** ﴾ [الآية ٥٣ يوسف] . ومكتوب على عتبة ذلك الباب ﴿ **بَلْ الإنسانُ على نَفْسِهِ بَصيرة** ﴾ [الآية ١٤ القيامة] وقوله تعالى ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا** ﴾ [الآية ٤٦ فصلت] . وإلى هذا المقام أشار بعض العلماء الأعلام على سبيل التنبيه بقوله رضي الله عنه : إياكم والوقوع في المعاصي ثم تقولون : هذا من إبليس ، فإن إبليس يتبرأ منكم في مكان يصدق فيه الكذوب ، وذلك حين يخطب في النار ويقول في خطبته ﴿ **فَلاَتَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [الآية ٢٢ إبراهيم] يعني ما أغويتكم حتى ملتم بنفوسكم إلى الوقوع في المعاصي وماكان لي عليكم من سلطان قبل ذلك . ولذا قال بعض الفطناء في كنية الشيطان أبومرة ، أتدري

من هي المُرَّة التي هو أبوها ؟ هي النفس ، سميت مُرَّة لأنها مادخلت في شيء إلا أفسدته .

وأما أسماء النفس فأولها : الأمَّارة وهي التي ذكرناها ، وبعدها اللوَّامة ، والملهمة ، والمطمئنة ، والراضية ، والمرضية ، والكاملة . ثم إذا أردت بيان طريقة تصفيتها فعليك بكتاب الفيوضات الربانية لسيدنا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه .

ومن أبلغ المقامات وأوفق الكلمات وأوجز العبارات ، وأنفع الكيفيات ماذكره سيدي وقرة عيني لذيذ المشارب الوالد علوي بن عبد الله بن طالب حيث يقول شعراً :

فهاهي عزها　　　في طي ذلها

(**قلت**) ولما أن الشيء بالشيء يذكر ذكرت هنا واقعة حصلت للفقير في يوم الربوع ولعله ثمانية عشر شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف ١٣٣٨ هـ وقد حصلت لي رؤيا في صبح ذلك اليوم وهي إشارة تدل على ماسيحصل وهو : أنه جاء شخص وهو عدو للفقير مبطن تلك العداوة ويطلب شيء مني وتعذرت منه بِقِلِّ حصولها ،

ثم عطف على تلك الحاجة وأراد أن يأخذها على سبيل الإستقدار في ظاهر الأمر لأنه خاطبني بذلك في جمع من الناس ، ولما رأيته كذلك تحرك باطني عليه وقلت له : إن تلك الحاجة التي تطلبها حاجتنا داعية إليها ، فظهر عليه بعد قولي له بعدم حصول تلك الحاجة الغضب ، وأضمر في نفسه أن يعمل لي حيلة بأي ممكن من أنواع الأذيات ، وحينئذ كان قصدي أن يبعد عني ولم يخاطبني ولم يواجهني في ما أقبل من الزمان ، وأن يعمل فيما بدا له . ثم مرت عليَّ ساعة وتفكرت في أمري وأمره وماحصل بيني وبينه أن ذلك الرجل لم يكن عنده خوف من ربه ولايبالي بمايفعله من رؤية الناس له ومن عدم عقله ، وغالب عليه حمقه أن كل مايفعله حَسَنْ كما قال الشاعر :

وكل من لم يرى عيب نفسه　　　فكل رداء يرتديه جميل

ومن كلام النبوة (إذا لم تستح فافعل ماشئت) .

ومن وصية لقمان الحكيم لإبنه يقول : يابني حملت الجندل والحديد فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء . وقيل له أي الناس شرا ؟ قال : الذي لايبالي أن رآه الناس مسيئاً .

(**قلت**) وهذه الأوصاف معلومة لمن تفرس في ذلك الرجل ، ولكن ماأصيب إنسان بشيء بمايسيئه إلا من جهة نفسه . فلما نظرت نفسي بعين السخط ظهرت لي حكمة من تلك القضية وهو أن الرجل نائب من نواب الشيطان وأفعاله تدل على ذلك ، والشيطان مرخص له في بني آدم ، وقد أخبرالله بعداوته في كثير من الآيات ، وإنما طوره وطور النفس فلا يقدر على إضلال بني آدم إلا بشهوات النفس ، وشهوات النفس لاتتناهى ، ومكائدها دقيقة لايطلع عليها إلا من نورالله بصيرته . فإذا مالت النفس إلى شيء وثب الشيطان على القلب واستولاه . ويشهد ذلك قوله تعالى ﴿ **كُتِبَ عَلَيهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِير** ﴾ [الآية ٤ الحج] وهذا إذا استمر في شهوته لايزال العدو جاثم على قلبه ، وقد تقضي النفس شهوتها في كلمة يتكلم بها الإنسان ويصير بها هلاكه وذله ، وهوانه بين أقرانه وشماتة أعدائه عليه . فإذا علم الفطن من صفاته هذه فسلامته منه في مسالمته له ، وأن تكون متيقظا منه غاية ما أمكنك ، وعليك بمداراته فإنك منه على أربع حالات :

أولا : أنه نائب من نواب الشيطان . **والثاني** : أن مفتاحه لسانك فإنه بانقضاء شهوة لسانك ولو بكلمة فقد انقضى غرضه منها . **والثالث** : أن كل من لايخاف ربه فخفه أشد الخوف إذا ابتليت به . **والرابع** : عملا بماورد في الدعاء : ونستعطف شرار خلقك . أي بمسالمتهم في الظاهر مادمت معه وهو معك .

وقد جرت للفقير أيضاً هذه القضية بل هي أشنع من الأولى في يوم الجمعة اثنين شوال من واحد ، وكان قد حصلت للفقير إشارة في النوم في الليلة الماضية وتفسرت ظُهر ذلك اليوم لأني صائم أول يوم من أيام الست ، فغلبني النوم قريب الصلاة ، فلما جاء وقت صلاة الجمعة أرادوا أن يقيمونا للصلاة فمنعهم ذلك الإنسان وقال لهم إن ثورتوه بايعاشي عليكم ، وقصده أن تفوتنا صلاة الجمعة ، وإذا فاتتنا صلاة الجمعة باعاقبهم وباعاتبهم أشد العتاب ، وهاهنا مقصده مني ، فإذ حصلت المشقة بيننا في ذلك اليوم اشترح خاطره بحصول مطلوبه فقمت من نفسي وقده وقت الصلاة فعجلت نفسي في الوضوء وخبيت مسرع في الطريق وأدركت الإمام في

الركوع من الركعة الأولى ، فلما تخبرتهم بعد رجوعي إلى الدار قالوا بانثورك منعنا فلان ، وكظمت القضية وعلمت وتحققت أن ذلك من مكائده وعداوته لي والله المستعان . ولو ماكظمت تلك القضية وأعطيت نفسي هواها لكنت أنا المتسبب في هلاك نفسي بنفسي ، فربما مرارة تلك الشهوة تبقى زماناً . وهكذا أي السكوت بعد علمك بها سيؤول الأمر في مستقبل الزمن . والسلام .

إلحاق وتتميم من مجموع الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر مانصه : فإن إبتلى العاقل بمن يؤذيه ويقصده بالعداوة في الحال والمال والولد وأتاه إلى محله فليداريه ويجامله إلى أن يتخلص منه ، والحذر كل الحذر من العنف والغلظة والفضاضة معه ، فإنه تحت ذلك الشر الهائل الذي لايطاق ، وربما يدوم باقي العمر أويبقى معه بعده إلى أولاده ، وفي صبر ساعة وتجرع مرارتها سلامة من ذلك كله . اهـ .

(**الدائرة الثالثة**) : هي دائرة القلب وعالمه ، قال سيدنا الحبيب عبد الرحمن بلفقيه في الرشفات :

فالعبد بالقلب مدار أمره   فحيث صار سرها في سره

سار الهوى في حلوه ومره   في الذات والأوصاف والأحوال

وعليها ، أي الدائرة من الأبواب بعدد أفراد الخواطر الواردة عليه ، وعلى عتبة باب تلك الدائرة مكتوب ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُم فُرْقَاناً** ﴾ [الآية ٢٩ الأنفال] . قوله : فرقاناً . أي هداية في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل ، ومخرجا من الشبهات . اهـ .

وعلى تلك الأبواب إنبساط إشراق أنوار العقل ، ومدده مقتبس من سناء نور القلب ، فبقدر صفاء القلب وشعاع نوره يزداد إشراق نور العقل وقوة حراسته على تلك الأبواب . ولذا قال بعضهم : فكما أن العين الباصرة لايمكنها إدراك الأشياء إلا عند طلوع النيِّرين كالشمس ونحوها فكذلك العقل بمجرده لايقدر على إدراك الحقائق كما هي عليه إلا إذا سطعت عليه أنوار التوفيق والهداية من الله تعالى .

ومن كلام سيدنا الحبيب احمد بن حسن رضي الله عنه في صفة القلب وحالاته قال : الإنسان هيكل وقلب وروح ، فالقلب برزخ بين الهيكل والروح ، وهو إذا ركن إلى الحضيض الأسفل دم ولحم ، وإذا ركن إلى الملكوت قلب .

ولذا قال زيد بن أسلم رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ **فِي لَوْحٍ مَحْفُوظ** ﴾ [الآية ٢٢ البروج] وهو قلب المؤمن . وقال سهل : مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي . إنتهى من الإحياء . وإليه الإشارة بقول إمام المشارق والمغارب سيدنا علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه شعراً :

أتحسب أنك جرم صغير   وفيك إنطوى العالم الأكبر
دوائك فيك وماتبصر   ودائك منك وماتشعر

قوله رضي الله عنه : العالم الأكبر ، هو عالم المعقول النائب عنه القلب .

(**قلت**) وكفى لذلك العالم شرفا بماروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين الله في الأرض أوفي السماء ؟ قال : في قلوب عباده المؤمنين . أوما معناه . وورد في الحديث القدسي عن الله تعالى بقوله عز وجل (ماوسعني أرضي ولاسمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن) أومامعناه .

(**قلت**) ومضان وقت نزول رحمته على عبده وتجليه سبحانه وتعالى على قلبه هو التحلي بذكره معنى قوله

تعالى ﴿ **فَاْذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ** ﴾ [الآية ١٥٢ البقرة] . ومن المعلوم أن ذكرالله تعالى كالسلطان في القُرَبِ ، ومع ذلك انه لايحصل ولاينال الذاكر المقام الذي منه حصول المزايا الجسام إلا بعد الإمتثال بقوله تعالى ﴿ **وَاذْكُر رَبَّكَ إِذاَ نَسِيت** ﴾ [الآية ٢٤ الكهف] إي إذا نسيت ماسوى الله . فعند ذلك يحصل للذاكر الوارد الرحماني . قال تعالى ﴿ **مَايَفْتَحِ اللهُ لِلَّناسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لهَاَ** ﴾ [الآية ٢ فاطر] وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود والكرم من الله سبحانه وتعالى غير مضنون بها على أحد ، ولكن إنما تظهر على القلوب المتعرضة لنفحات رحمة الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم (إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها) . وإلى هذا الجود الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (ينزل الله كل ليلة إلى سماء الدنيا وينادي : هل من داعٍ فأستجيب له) . إلى آخر ما أورده الإمام الغزالي في الإحياء .

فحبنئذ أي عند ورود الوارد الرحماني لايكون للشيطان سبيل ولامدخل إلى عالم القلب وطوره ، لأن الأبواب تغلق من دونه . قال تعالى ﴿ **إِنَّ الملوكَ إذا دَخَلوُا**

قَرْيَةً أفسدوها ﴾ [الآية ٣٤ النمل] . وفي الحِكَم لإبن عطاء الله : الواردات تأتي من حضرة قهار لأجل ذلك لايصادمه شيء إلا دَمَغَهُ ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق . قال الشارح رضي الله عنه : الوارد موسوم بسمة القهر والغلبة لوروده من حضرة القهار الغالب على أمره ، لأجل ذلك لايصادمه شيء من رعونات البشرية إلا دَمَغَهُ وأزاله ، وهو أيضاً حق ورد على باطل والباطل لا ثبات له مع الحق . اهـ عبارة شرح الحكم .

(**قلت**) ودليل حسم مجال الخواطر لاسيما تسويل اللعين الغادر الماكر ، فإن الله سبحانه وتعالى منزه عن الإعراض ذاته ، بائن من خلقه بصفاته ، وهو الواحد بوحدة الأحد المتعالي عن وحدة الكم والعدد ، المقدس عن كل أحد ، بل هو الله أحد الله الصمد . ومن هنا يعلم اللبيب أن الخواطر الواردة لايكون باعثها إلا إلى الأغراض البشرية ، مصحوبة بالحظوظ النفسانية ، فيبعد عن أن تؤثر تلك الخواطر الشيطانية النفسانية عن بساط الحضرة الرحمانية ، والسلطنة القاهرة الربانية . ومدد نور القلب من السر ، وقد

ذكر سبحانه وتعالى في بديع تمثيل ذلك المركب بأحسن التركيب والمسالك بقوله تعالى : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** ﴾ . وهو نور الإيمان ﴿ **الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ** ﴾ وهي كناية عن القلب ﴿ **الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ** ﴾ إلى قوله ﴿ **يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ** ﴾ [الآية ٣٥ النور] بفتح عين بصيرته لهداية سبيل طريقته من يشاء من عباده . وإلى هذا المعنى قال أبو طالب في كتابه (قوت القلوب) مانصه : وفي تفسير قوله تعالى ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ** ﴾ فَسَّرَهُ أُبَيْ بن كعب مثل نور المؤمن ، وكذلك كان يقرأه فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ويتقلب في نور . ثم قال في قوله تعالى : ﴿ **أَوْكَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍ** ﴾ [الآية ٤٠ النور] قال : قلب المنافق ، فكلامه ظلمة ، وعمله ظلمة ، ويتقلب في ظلمة . إنتهى نمور ١١٨ من الجزء الأول . وقيل في هذا المعنى شعراً :

فالقلب مشكاة وفيه زجاجة　　قد عُلقت بسلاسل المنهاج
متوقدا بالنـــور من زيتونة　　تسقي سراجاً فاق كل سراج

والكوكب الدري هو منبع نور الإيمان المودع في السر، ومحله يعني السر هو في الدائرة الرابعة ، ومكتوب على باب تلك الدائرة المذكورة قوله تعالى ﴿ **قُلِ اللّٰهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ** ﴾ [الآية ٩١ الأنعام] . فزيادة نوره وأسباب قوة حياته الإكثار من الطاعات . ومن أثناء كلام الوالد علوي يقول شعراً :

وأطلع في سماء مهجتي شمسي   يصير الغيب عندي رؤية العين
على ذكرك مقيم أصبح وأمسي   وذكر الله ينفي الهم والريـــن

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي رضي الله عنه ونفعنا به وأفض علينا من فائضات فهومه : وإنما المراد بالطاعات وأعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلائه ، ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** ﴾ [الآية ٩ الشمس] ومراد تزكيته حصول أنوار الإيمان فيه ، أعني إشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالى ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللّٰهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ** ﴾ [الآية ١٢٥ الأنعام] وبقوله تعالى ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللّٰهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ** ﴾ [الآية ٢٢ الزمر] . اهـ . وقد أشار إلى ذلك أيضاً ابن رسلان بقوله رضي الله عنه :

فكن من الإيمان في مزيدِ   وفي صفاء القلب في تجديدِ

بكثرة الصلاة والطاعـاتِ وترك مااللنفس من شهواتِ

(**قلت**) فمن لازَمَ هاتان الخصلتان فجدير بأن يثبته المولى بديوان السعداء وعبيده الحسان ، ويجعله في حرز حصين من الشيطان ، وأن يدخله في دائرة قوله تعالى مخاطبا لأهل الإيمان ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيهِم سُلْطَان** ﴾ . [الآية ٤٢ الحجر] . قال سيدنا وحبيبنا الحبيب احمد بن حسن بن عبدالله العطاس : إن الإنسان له أربعة أوجه : وجهة بقلبه ، ووجهة بقالبه ، ووجهة بروحه ، ووجهة بسره . وكل وجهة هو مولاها ، ومنتهى سيرالقوالب إلى الكعبة ، ومنتهى سير القلوب إلى السماء ، ومنتهى سير الأرواح إلى العرش ، ومنتهى سير السر . و سكت ! . قال بعض المفسرين لكلامه رضي الله عنه : يعني إلى الحق جَلَّ وعلا .

(**قلت**) والقاعدة إن الطبع يغلب التطبع ، وهو مصير كل إلى أصله . ومن الطبع الجِبِلِّي للإنسان لما أنه لحم ودم وأصله من ماء وطين ، فلاينجر طبعه إلا إلى الحضيض الأسفل . ولذا روي في الخبر أوالأثر : إن الملائكة خُلقوا بلاشهوة وعكسهم البهائم خُلقت بلا عقل ، والإنسان مُرَكَّبْ

منهما ، فمن زاد عقله على شهوته فهو ملحق بالملائكة ، ومن غلبت شهوته على عقله فهو لامحالة بأن يكون ملحق بالبهائم السائمة فمن لازمه أن يَنجرَّ طبعه وهوى نفسه إلى أسافل الأمور . وبعض سلفنا آل أبي علوي يقول : الطبع السفلي مولع بسوء الظن . شعراً :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه　　وصَدَّقَ مايعتاده من تَوَهُّمِ
وعادى محبيه بقول عداته　　وأصبح في شك من الليل مظلم

وقد أجمعوا على أنه لايصل أحد إلى مقام حسن الظن إلا من طهر الله باطنه من سائر الرذائل أما بالفطرة وأما بالعلاج والرياضة ، بحيث يصير لاتخطر الفحشاء بباله ، ومادام في باطنه شيء من الرذائل فمن لازمه غالبا سوء الظن بالناس . اهـ .

وأما الروح فلما أنه من قِبَلِ الحق جل وعلا ، ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** ﴾ [الآية ٢٩ الحجر] . فلايزال خفقان طيران شوقه وحنين محبته ووجده إلى الجناب الأعلى تبارك إسمه وتعالى مجده . فينبغي للإنسان أن يعرف قدر تلك الأمانة المودوعة في صورته

الجسمانية ، فالجسد بالنسبة إلى القلب وكذا الروح كالظرف ، وهو المظروف فيه ، فأين شرف الظرف من المظروف . وقد تقدم تعريف القلب وصفاته من كلام سيدنا الحبيب احمد بن حسن العطاس حيث يقول : القلب برزخ بين الهيكل والروح ، إذا ركن إلى الحضيض الأسفل لحم ودم ، وإذا ركن إلى الملكوت قلب . اهـ قال أبو الفتح البستي شعراً :

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لابالجسم إنسان

وقد أشار إلى هذا المقام سيدنا الحبيب عبد الله الحداد في بعض قصائده التي أولها : يازائري حين لاواشٍ من البشر . إلى أن قال :

للهِ بارقة للقلب قـد لمعت من عالم الأمر لامن عالم الصور
أنستك إياك والأكوان أجمعها وأوقفتك على المطلوب والوطر
ياأيها الجوهر المحصور في صدف مخلوق غرض التغيير فاعتبر
مثبط في حضيض الحظ همته في لذة البطن والمنكوح والنظر
تقوده شهوات فيه جامحـة حتى تزج به في لجة الضـرر

يا أيها الروح هل ترضى مجاورة ... على الدوام لهذا المظلم الكـدر
وأين كنت ولاجسم تساكـــنه ... ألست في حضرات القدس فادكر
تأوي مع الملاء الأعلى وتكرع من ... حياض أنس كما تجنا من الثمر
تأتي عليك نسيم القرب مهديـة ... عرف الجمال كعرف المندل العطر
حتى جُعِلتَ بأمر الله في قفص ... ليبتليك فكن من خـير مختـبر
فحين أبصرت هذا الجسم قد برزت ... به العجائب من بادٍ ومستـتر
أنستك بهجته ماكنت تشهـده ... من قدس ربك فاعرف ضيعة العمر

إلى آخـر القصـيدة . فـرضي الله تعـالى عـن قائلهـا ونفعنا به دنيا وآخرة . آمين آمين آمين .

(**قلت**) وتـلك الأبيـات وماشملتهـا مـن المعـاني قـد جمعها سيدي الوالد علوي بقوله شعراً :

لوفتحت عينك عرفت نفسك ... وامحيت عن جمع السوى بقدسك

(**قلت**) ومن أعظم الأسباب في تنوير القلـب هـو ما أورده أبـو القـاسم القشـيري رضي الله عنـه حيـث يقـول : فراغ القلب من الأشغال نعمة عظيـمة ، فـإذا كفـر العبـد هـذه النعمة فتح على نفسه باب الهوى وانجـر في قيـاد الشـهوات ، وشَوَّشَ الله نعمة قلبه وسلبه ماكان يجد من صفاء الله . اهـ .

(**قلت**) قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد في هذا الموطن أيضاً : فإن للجوع وخلو المعدة أثراً عظيما في تنوير القلب ونشاط الجوارح في العبادة ، والشبع أصل القسوة والغفلة والكسل عن الطاعة . قال عليه الصلاة والسلام (ماملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه ، حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإذا كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) . وقال بعضهم : إذا شبعت البطن جاعت الجوارح . (**قلت**) وجوع الجوارح عبارة عن طلبها وحرصها على شهواتها . اهـ من النصائح .

(**قلت**) وإذا أمعن النظر العاقل في شَرَهِ الإنسان لاسيما في الطعام والفواكه الطيبة الشهية فإن البطن ليس لها نصيب بل ولاسبيل إلى ذلك ، فإنها بالنسبة للإنسان كالظرف والوعاء لإستقرار الغذاء فيها ، وثوران الشهوة بالتطلع إلى الأطعمة الطيبة مع الشَّرَه المذمومة لايكون إلا من جهة النفس . والشَّرَه نوع من أنواع أخلاقها ، فإن آفاتها للإنسان ظاهرة متظاهرة ، وعداوتها له متواصلة متراسلة . وكفى في وصفها أنها الأمارة بالسوء .

ومن حكم بعض البلغاء في كنية الشيطان أبو مُرَّة قال : أتدري من هي المرة التي أبوها الشيطان ! هي النفس سميت مرة لأنها مادخلت في شيء إلا أفسدته . اهـ . وقد تقدمت تلك الحكاية . قال بعضهم على قوله تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً** ﴾ [الآية ٦٧ البقرة] . إن كل إنسان بقرته نفسه ، والأمر في ذلك أي الحكم عام ، وكيفية ذبحها قمع شهوتها وميل طبعها إلا ماكان خيراً . ولذا قال بعضهم : إياكم والوقوع في المعاصي ثم تقولون هذا من إبليس ، فإن إبليس يتبرأ منكم في مكان يصدق فيه الكذوب وذلك حين يخطب في النار ويقول في خطبته ﴿ **فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [الآية ٢٢ إبراهيم] يعني ما أغويتكم حتى ملتم بنفوسكم إلى الوقوع في المعاصي وماكان لي عليكم من سلطان . وقال تعالى ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا** ﴾ [الآية ٥٨ النساء] ومن أعظم الأمانات المودوعة لديك أيها الإنسان شيئآن ، أحدهما : هيكل صورتك الجسمانية معنى قوله تعالى ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾ [الآية ٤ التين] . والثانية : مشكاة مصباح إيمانك النورانية . فالعبد مركزه الجسماني في دار الدنيا

، ومرجعه الروحاني في دار الآخرة ، والمركز الجسماني فانٍ ومطالبه شتى ، والمرجع الروحاني باقٍ ومطلبه واحد وهو الله سبحانه وتعالى . فأما الجسد فأصله من ماء وطين ومصداق ذلك قوله تعالى ﴿ **إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِنْ طِينٍ لازِب** ﴾ [الآية ١١ الصافات] وقال تعالى رداً على من أنكر بالبعث ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُم فِي رَيْبٍ مِنْ البَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ تُرَابٍ** ﴾ [الآية ٥ الحج] إلى آخر الآية . وفي الحديث (أنتم من آدم وآدم من تراب ، لافضل لأحمر على أسود إلا بالتقوى) إلى آخر الحديث .

فما ينبغي حينئذ على العاقل أن يضع تلك الأمانة في موضعها . ولما أن أصل الجسد من طين فلائق منك أن لاتطلب الرفعة والتكبر على سبيل الإفتخار لقوله تعالى ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ** ﴾ [الآية ٨٣ القصص] . فعند ذلك يلزم منك التواضع الكلي . وعلامة المتخلق بهذا الخُلُقْ أن لايرتفع على أحد في سائر الأحوال ، وبحيث لايحس من نفسه ذلك ولايخطر له على بال . ولذا قال قائلهم : من رأى لنفسه قيمة فليس له من

التواضع نصيب . وقال أبوسليمان الداراني : لايتواضع العبد حتى يعرف نفسه . وقال غيره : من وجد ذوق ذلة في ذلة فهو متعزز .

(**قلت**) ولقد صدق فيما قال في كلامه الحال العال ، لأن مايلزم ويلائم المتواضع الإنكسار وعكسه التعزز والإستكبار ، وهو المجابه بنفسه لأنه أحد حساده . كذا ورد عن بعض العارفين .

(**قلت**) ويصلح أن يقال : من وجد ذوق طاعته في طاعته فهو معجب بنفسه . وقد مر إعجاب المرء بنفسه أحد حساده . ولذا قال بعضهم : حقيقة العُجُبْ هو تخيل كمال في الباطن من عمل أوعلم . وسئل ابن المبارك عن العُجُبْ فقال : أن ترى عندك شيء ليس عند غيرك .

(**فائدة**) أن من علامة قبول العمل أن يغيب عنك . وقال سليمان الداراني : ما استحسنت من نفسي عملا فاحتسبته . وعن علي ابن الحسين رضي الله عنه يقول : كل شيء من أفعالك إذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لايقبل منك بدلالة قوله تعالى ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**

وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [الآية ١٠ فاطر] فإن رفع الحق ذلك العمل أن لايبقى عندك منه شيء ، فإنه إذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع إليه ، لبينونية عنديتك وعنديته . فينبغي للعبد إذا عمل عملا أن يكون عنده نسياً منسيا بماذكرناه من إتهام النفس ورؤية التقصير حتى يحصل له قبوله . اهـ .

قال بعض العارفين : إن العبد مبتلي بنظره إلى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته إليه وشهود حوله وقوته عليه ، وهذا لامحيص له عنه إلا بما شاء ربه ، وقد يكشف حجابه فيرآئي به ويطلب حمد الناس ، وهذا كله من الشرك الخفي القادح في الإخلاص الحقيقي ، والإخلاص شرط في قبول العمل . وفي الحِكَم لإبن عطاء الله رضي الله عنه : ليس المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه فوق ماصنع ، ولكن المتواضع الذي إذا تواضع رأى أنه دون ماتواضع .

(**قلت**) وهذا ميزان للتواضع عجيب جدا . قال الشارح : ومن علامة المتخلق بهذا الخُلق أن لايغضب إذا عيب أوتنقص ، ولايكره أن يذم ويقذف بالكبائر . ومن علامات التحقق به أيضا : أن يشتد حرصه على أن لايكون

له جاه وقدر عند الناس ، ويلتزم الصدق في حاله بأن لايرى لنفسه موضعاً في قلوبهم .

وقد بسط الكلام في هذا المبحث والمقام سيدنا الحبيب علي بن حسن العطاس رضي الله عنه حيث يقول شعراً :

يااحمد إن كان لك فهم أوتروم النجابه
اسمع القول مني واجتهد في طـــلابه
ثم تحفظ وكن ممن روى للورى بـــه
فإن فيه الشفاء يااحمد وفيه الطبابـه
عند من له محبه صادقه واستجابـــه
ينتفع به إذا افكر فيه قاصد صـوابـه
بالتدبر وقلبه غير ساهي وسابـــــه
والذي ليس له معنى ولاله لـبابـــه
مايفك الغلق والقول عنده سـوا بـه
واعلم إن التقى للمسلم أقـوى نسابـه
مثل ماقاله الحق الصـمد في كتابـــه

إلى أن قال رضي الله عنه :

واجعل المسكنه والضعف للقلب دأبـه
قر واخضع لما يقضي وخف من عـذابه
وارض واصبر لحكمه وارج عظم المـآبه
لاتعرض وسلم لاتقع في الحـــــــنابه
فإن مايكسر العلجوم غير الصـــلابه
إلى نشق ماه واللّين يقع له مهـــــابه
وابصر الحَبْ الأخضر لاتدانا الرحى بـه
ذه طريق التواضع فاجتهد في اكتسـابه
فإنه الكنـز ذي مايحتسد عبد جـابـــه
بل يُكَرَّم ويرفع حين يدحق حـدابـــه
وانت خذ منه تعطى السؤل واقبض رقابه
واطلب العلم والبس من غوالي ثـيابـه
شفه كله في القرآن لفظ أونـيابـــــه

إلى آخر القصيدة نفعنا الله به وبهـا آمـين . وإلى هنـا إنتهي الكلام على التواضع والأمانة الظاهرة . وبـتلك الطريقـة تتوصـل بهـا إلى أداء الأمانـة الباطنـة ، وهي أي بالكيفيـة الآتيـة نـورد مـن الأحاديـث مـن ذلك : قـوله عليـه الصلاة والسـلام (إذا أراد الله بعبـدٍ خيراً بَصَّرَهُ بعيـوب نفسـه) .

وقال صلى الله عليه وسلم (من عرف نفسه عرف ربه) . وقال صلى الله عليه وسلم (إذا أحب الله عبداً جعل له واعظا من نفسه ، وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه) . ولذا من أدعيته صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعل لي واعظا من قلبي) . قال بعض العارفين في معنى الحديث السابق وهو قوله صلى الله عليه وسلم (جعل له واعظا من نفسه) . إلى آخر الحديث . وحصول ذلك أن يجد من قلبه لاسيما عند خوضه في المناهي الزواجر ، فإن لم يجد من قلبه زاجراً فهو خراب . ولذا قال قائلهم شعراً :

خاطبني الحق من جناني فكان وعظي على لساني

فإذا أراد الله بعبد خيرا أوقع بقلبه بذر اليقظة والإنتباه ، وأنبت من ذلك البذر غرس المعرفة ونماه ، وأورق أغصانه بحسن الإستقامة ، وأينع ثماره ، وأجزل له الكرامة ، وجعله من عباده الذين ليس للشيطان عليهم سلطان ، المخلصين لله في السر والإعلان ، وأدخله في دائرة أوليائه الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون . وكل ذلك من عمارة قلبه بذكر الله وتوكله عليه حتى يكون الغالب على قلبك ، فإن الخلق

لن يُغنوا عنك من الله شيئا في أصيل ولابكرة ، فذكر الله أصل كل السعادة ، فأقبل عليه بكلك يعطك الحسنى وزيادة ، واستغرق في ذلك الأوقات ودم على ذلك حتى يأتيك الممات . اهـ تقريب الوصول لسيدنا احمد زيني دحلان .

ومما بلغني في هذا المبحث ماروي عن الحسن رضي الله عنه في سياق علامة المؤمن بقوله نفعنا الله به : أن المؤمن جمع إحسانا وخوفا ، وأن المنافق جمع إساءةً وأمنا . قال سيدنا الحبيب عبد الله الحداد بعد إيراد هذه العبارة رضي الله عنه : وهذا عجيب جدا لأن الخوف لصاحب الإساءة أليق لتعرضه بإساءته لإنتكاس قلبه وعمى عين بصيرته ، ولكن من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له مرشدا .

(**قلت**) واللائق من المؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء . قال بعض العارفين على قول سيدنا الحبيب علي بن حسن في قصيدته الفريدة حيث يقول فيها رضي الله عنه : والهج للحراث حصنه للبلا قبل الهزيم . والعامل

الصانع نقيبه . إلى آخرها . قيل إن الصانع هو الخوف والرجاء أوماهذا معناه . والله أعلم . ومن هنا فسر بعضهم قوله تعالى ﴿ **تُولِجُ الَّيلَّ في النَّهَارِوَتُولِجُ النَّهَارَ في الَّيلِ** ﴾ [الآية ٢٧ آل عمران] . كناية عن الخوف والرجاء . والمراد أنه سبحانه وتعالى جعل بحكمته البالغة الخوف في الأمان ، والأمان في الخوف . وكيف لايكون كذلك وقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام (مايجمع الله للمؤمن خوفين ولا أمنين) أي مَنْ أَمِنَ مِنْ مكرالله فهو المخاطر بنفسه ، ومن لزم نفسه الخوف فقمين أن يأمن . والله ورسوله أعلم .

فمن أراد الله به خيرا من عباده في سابق العلم ومراده فحباله موصولة ، وسائر توجهاته إليه مرعية ومحفوظة ، إلى أن يلقاه في أعلى فراديس الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من صلحاء الأمة . وكيف لايكون كذلك وقد قال قائلهم : فمن رعته العناية فلا تضره الجناية . وقال الشيخ بامخرمه شعراً :

ومن رعته العنايه في المجئ والذهـــاب
ومن درى وين يطرح مدحقه ماستراب

فلا يبالي ومن خانته الأقدار خـــــاب

اللهم اجعل سيئآتنا سيئآت من تحب ولاتجعل حسناتنا حسنات من تبغض ، اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك ، وارزقني عملا يقربني إليك .

(**قلت**) وهذا مقام جليل ومرقى أثيل ، ولاوسيلة إلى وصول هذه الرتبة الرفيعة الشامخة المنيفة إلا بالتخلق بما أورده سهل بن عبد الله حيث يقول رضي الله عنه : فمن علامة حب الله حب القرآن ، ومن علامة حب االقرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن علامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة ، ومن علامة حب السنة حب الآخرة ، ومن علامة حب الآخرة بغض الدنيا ، لايدخر منها إلا زاداً وبلغة إلى الآخرة . قال الله سبحانه وتعالى لنبيه وصفوته من بريته ﴿ **قُلْ** ﴾ يامحمد ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْلَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الآية ٣١ آل عمران] . قال القاضي عياض في كتابه الشفاء في حقوق المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن أنس ابن مالك أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم له (يابني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل) ثم قال (يابني وذلك من سنتي ومن أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة)

وبهذه الفائدة تمت النبذة المفيدة وذلك بعون الله وتوفيقه والحمدلله أولا وآخراً ظاهرا وباطنا ، دعواهم فيها سبحانك اللهم ربناوبحمدك، أشهد أن لاإله إلا أنت وحدك لاشريك لك ،أستغفرك وأتوب إليك ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

بعون الله وتوفيقه تم الفراغ من مراجعة الكتاب المذكوروإعادة طباعته للمرة الثانية عصر الخميس ١٤٢٦/١/٢٩

بعناية نجله راجي عفوالله ومغفرته

احمد بن عمر العطاس

عفا الله عنه آمين

اللهم آمين

١- غذاء الأرواح في أذكار المساء والصباح
٢- سوق الأرباح بشرح غذاء الأرواح
٣- كتاب الرسائل
٤- الفوائد الجليلة والعطايا الجزيلة
٥- كيمياء السعادة لمن أراد الحسنى وزيادة
٦- تنبيه النائم وبغية الهائم
٧- فائدة عظيمة لسلوك سبيل السلامة
٨- فوائد منثورة وعبر
٩- الفوائد والعبر
١٠- نزهة الأحباب في اختيار الأصحاب
١١- النفائس المفيدة والآداب السديدة
١٢- أسرار البدأة في خلقه النشأة
١٣- كتاب عظيم القدر وسامي الفخر في التحلي بالصبر
١٤- جني الثمار فيماورد في الأذكار من أخبار وآثار
١٥- سبيل المنار في جلب التخلص من المضار